المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٤ رمضان سنة ١٣٢٢

روزفلت رئيس الولايات المتحدة

انبأنا البرق منذ ايام قلائل ان اهالي الولايات المتحدة الاميركية انتخبوا الكولونل ثيودور روزفلت رئيساً لحكومتهم . وقد كان رئيساً لها منذ ثلاث سنوات آلت الرئاسة اليه بموت الرئيس السابق المستر مكنلي سنة ١٩٠١

والاميركيون الذين يشتركون في انتخاب الرئيس نحو عشرين مليوناً من النفوس وهم كل بالغ تقريباً يشتركون في انتخاب نوّاب لهم وهؤلاء ينتخبون الرئيس في شهر نوفمبر كل سنة رابعة لان مدة رئاسة الرئيس اربع سنوات

واذا حان ميعاد الانتخاب كل سنة رابعة قامت البلاد وقعدت وفيها حزبان كبيران الرببليك (الجمهوري) والديموقراط (الشعبي) فيتفق كل حزب منهم على زعيم يرشحهُ لرئاسة الجمهورية ويشرع يستميل الناس اليه بالخطب والمواعيد فينتخب المنتخبون نوّابهم من هذا الحزب او من ذاك حسبما يميلون او يرغبون الى ان يأتي يوم مخصوص من شهر نوفمبر فينتخب كل حزب من النواب واحداً من المرشحين والذي يقع لهُ العدد الاكثر من الاصوات يصير رئيساً . ورئيس الولايات المتحدة اقوى سلطة من كل الملوك والسلاطين ماعدا المستبدين منهم فهو رئيس ارقى امم الارض حضارةً واوفرها ثروةً وهو القائد العام لجنودها البرية والبحرية في السلم والحرب ويبدهِ تعيين جميع الموظفين في الوظائف الملكية والحربية ولا يقلُّ عددهم عن ثمانين الفاً . واليهِ المرجع في كل المخابرات الدولية ولهُ السيطرة على القوّة التنفيذية وسنّ القوانين والغاؤها وتوطيد الامن في البلاد ولو باستخدام الجنود كلهم

وهذه الحقوق ليست حبراً على ورق بل للرئيس ان يستعملها وقتما يشاء وقد استعملها الرئيس روزفلت في السنوات الثلاث الماضية رغماً عن مقاومة جمهور كبير من النواب لهُ حتى

من حزبهِ فعقد اتفاقاً متبادلاً مع كوبا وحمل على الشركات المالية الكبيرة حملات منكرة في مجالس القضاء واضطرَّ اصحاب مناجم الفحم الى قبول التحكيم بينهم وبين العمال ومنع حكومة كولمبيا من ثورة يراد بها منع الحكومة الاميركية من فتح ترعة بناما

والاغنياء من الحزب الجمهوري لا يميلون اليهِ لانهُ شديد الوطأة عليهم ولكنهم لا يستطيعون ان ينالوهُ بمكروه ولا يحاولون خذلهُ وقت الانتخاب لئلاَّ يفوز حزب الديموقراط عليهم ولاسيما بعد موت زعيمهم الآخر المستر هنَّا . ويقال انهُ لم يقم في الولايات المتحدة بعد الرئيس لنكن رجل اشهر من روزفلت او احب اليهم منهُ فهم يكرمونهُ ويجلُّونهُ ويجاهرون بتفوُّقهِ عليهم ويعتقدون انهُ يستطيع كل شيء ولكنهُ لا يفعل الاَّ كل مكرمة . وهو من خاصة الاميركيين لا من عامتهم لكنهُ التصق بالعامة وفضَّل مصالحهم على مصالح الخاصَّة وفاق رجال وطنهِ في الصيد والقنص والحرب والسياسة

وقد آلت اليهِ الرئاسة اولاً بموت الرئيس مكنلي كما تقدم لانهُ كان نائباً لهُ ولولا ذلك ما اجمعوا على انتخابهِ حينئذٍ اما الآن والسلطة في يدهِ فيستحيل ان يُنتخب احد غيرهُ لانهُ يقال ان الاقامة في البيت الابيض منزل رؤساء اميركا بمثابة ثلاثة اخماس اصوات الانتخاب . وزد على ذلك انهُ امتلك قلوب حزبهِ وكثيرين غيرهم باستقامتهِ وعدلهِ وبلاغة انشائهِ ورغبتهِ في تعزيز السلطة الاميركية حتى ان ما ينتقدهُ بهِ خصومهُ من انهُ رجل حرب يسعى في جعل الولايات المتحدة دولة حربية فاتحةً زاد رغبة الناس في انتخابهِ

والذين يعرفونهُ حق المعرفة يقولون انهُ سياسي محنَّك وصديق مخلص وخلٌّ وفيٌّ وعدوٌّ لدود . له قلم سيَّال صنَّف كتباً كثيرة تعدُّ في الطبقة الاولى بين مصنفات العصر وخدم بلادهُ في مناصب كثيرة . عُين رئيساً للبوليس في مدينة نيويورك وكان فاسداً فاصلحهُ وبذل في اصلاحهِ كل مرتخص وغالٍ ولم يراعِ كبيراً ولا صغيراً ولم يفعل احد فعلهُ قبلهُ ولا بعدهُ . وان كان في بوليس نيويورك شيءٌ يُحمَد الآن فالفضل فيهِ لروزفلت . وهو الذي ادار رحى الحرب مع اسبانيا وخسَّرها اساطيلها بدل البارجة ماين التي اغرقتها . وبعد ان اضرم نار الحرب وهو مساعد في نظارة الحربية استعفى من منصبهِ وركب جوادهُ وقاد فرقةً من الفرسان وكان اول مَن صعد اكمة سان جوان . ثم صار حاكماً لولاية نيويورك فنائباً للرئيس مكنلي فخلفاً لهُ

ولما نشبت حرب الانتخاب للرئيس مكنلي (لان الانتخاب في اميركا حرب سلاحها الالسنة والاقلام وميادينها المنابر والجرائد) خطب روزفلت خمس مئة خطبة مئتين منها في ولاية نيويورك وحدها لان اكثر الاعتماد عليها في الانتخاب والبقية في سائر الولايات . وسار سبعة

عشر الف ميل وكان متوسط خطبهِ عشرين خطبة في اليوم. وقد سار في العام الماضي اربعة عشر الف ميل وتكلَّم في ٢٦٣ مدينة موضحاً آراءهُ للجمهور ومبيناً لهم الاسباب التي حملتهُ على فعل ما فعلهُ

اما مقامهُ في عالم التأليف وبين ارباب الانشاء فواضح من مؤلفاتهِ الكثيرة فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة وتمَّ دروسهُ فيها سنة ١٨٨٠ وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وانتُخب حينئذٍ عضوًا في مجلس نيويورك فاظهر ما امتاز بهِ من اصالة الرأي واستخدام السياسة لنفع البلاد ومقاومة الخصوم بالعنف الشديد وفعل ما يعدُّ فعلهُ واجباً مهما حال في وجههِ من الحوائل . فعرف الناس قدرهُ ورأوا فيهِ مقدرةً تفوق المعتاد فاحبَّهُ بعضهم وابغضهُ البعض الآخر ولكنهم تهيَّبوهُ كلهم واكرموهُ

والَّف كتابهُ الاول سنة ١٨٨٢ وثلثهُ كتب أُخرى في السنوات التالية . وسنة ١٨٨٨ انشأ اول كتاب سياسي بحث فيهِ عن سياسة البلاد بحثاً لم يُسبَق اليهِ وازاح الستار عن رياء المعدودين عمُد الامة وعن مفاسد نوَّاب الاغنياء واظهر مناقب الذين يُعدُّون دُخلاء لانهم مولودون خارج البلاد الاميركية . وشدَّد النكير على الاغنياء الذين يجتمعون في الاندية الكبيرة ويطلبون الاصلاح كأنَّ الاصلاح مادة تمسك باليد ثم ينصرفون كأنهم قضوا الواجب عليهم . وقال انهُ كلما عرضت لهُ مشكلة خطيرة وانتخب لها لجنة لحلها فثلاثة ارباع اللجنة من الارلنديين اي ان رجال الاعمال الذين يعتمد عليهم هم من الذين يُعدُّون دخلاء في البلاد

ثم توسَّع في هذا الموضوع والَّف فيهِ كتاباً كبيرًا نشرهُ سنة ١٨٩٥ سمَّاهُ "مطالب اميركا" شرح فيهِ آراءهُ السياسية والاجتماعية فقال ان المجرمين الذين يرتكبون الجرائم ويقعون تحت طائلة القانون ليسوا بالذين يُخشى شرهم وانما يخشى شرُّ المضارب الذي يقتني بمخادعة غيرهِ ويرشو القضاة ويفسد القضاء لكي يموت وهو من كبار الاغنياء فانهُ اضرُّ بالبلاد من القتلة واللصوص وقاطعي الطرق . والذي يهيج العمال على الاعتصاب لا يفرق عن التاجر او صاحب المعمل الذي يضيِّق على مستخدميهِ ويمنعهم من الاستقلال . وحطَّ الى الدرك الاسفل من الخسَّة والدناءة الغنيَّ الذي يضحي كل شيء في سبيل جمع الثروة وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" لا شيءَ في الدنيا احقر واخس من الرجل الاميركي المتفاني في جمع المال فانهُ يهمل كل واجب ويغضي عن كل حق ويعكف على جمع الثروة واستخدامها في اخس الاعمال إما بالمضاربة وتخريب البيوت والشركات او بجعل ابنهِ يعيش عيشة البذخ والطيش والخلاعة والكسل او بشترى شاب خليع من ابناء البيوت الكبيرة زوجاً لابنتهِ . ويزيد شرُّهُ وضرُّهُ اذا

فعل فعلاً حميداً من وقت الى آخر كأن يبني مدرسة او كنيسة لكي يجعل الجهلاء ينسون قبائحهُ . رجل مثل هذا لا يعبأ بالعمّال الذين يهتضم حقوقهم ولا بالبلاد التي يقوّض اركانها فهو لعنة على نفسهِ وعلى بلادهِ

"والرجل الذي يرى سياسة بلادهِ متدرجة من رديء الى اردأ منهُ ولا يحرك ساكناً ويسمع عن ظلم الحكّام فيضحك ولا يبالي ويشاهد سوء الادارة وتعويج القضاء ولا يبذل جهدهُ في اصلاح الحال هذا الرجل ينقض عهد ولائهِ لبلادهِ وامتهِ ويُعِدُّ الطريق لخرابها ودمارها . والاغضاء عن الحق والواجب والتعامي عمَّا يؤول اليهِ الظلمُ والفسادُ من الشر والخراب نقيصتان من اقبح النقائص وهما من مزايا بعض الاميركيين الذين يعدون انفسهم في المصاف الاول بين الانام

"ويقرب من هؤلاء في الضرر الرجالُ الذين مطالبهم كلها مادية محضة فيقيسون كل شيء بمقياس الربح المالي فلا يحسبون لشاعر حساباً ولو كان انبغ شعراء العصر لانهم لا يرون ان البلاد تربح من شعرهِ ربحاً ماليًّا بل يفضلون عليهِ صانع المسامير وقد فاتهم ان الربح المالي لا يقوم مقام الفضائل القوميَّة ولا يحل المشاكل الاجتماعية

"ومنهم من يفضل المال على الشرف والمجد واصالة الرأي وحسن النظر في العواقب وكل المناقب التي تقوى بها الامم وتستعزُّ ويزعم ان ملاك السلام نال بغيتهُ من الناس لما اقنعهم بجلب البضائع الاجنبيَّة التي ينقص ثمنها بعض الشيء عن البضائع الوطنية . ولا تحرك في نفوسهم اقل عاطفة من العواطف التي ولَّدت الساسة والابطال والشعراء والادباء ورفعت مقام الامم واعلت كلمتها"

ثم توسَّع في هذا الموضوع في كتابهِ الاخير المسمَّى "بحياة الجدّ" وافاض في تزييف المعايب الاجتماعية والترغيب في الفضائل الادبية ولا سيما بعد ان القيت على عاتق الحكومة الاميركية اعباء جديدة باضافة جزائر فيليبين اليها

وسنة ١٨٨٤ ابتاع مزرعة تُربّى فيها المواشي واقام فيها لكي يسترد صحتهُ ويروض جسمهُ وكانت المزرعة في اطراف البلاد حيث تقيم البقية الباقية من هنود اميركا فأثَّرت فيهِ المعيشة الخلوية وحملتهُ على تأليف نوعين من الكتب الواحد عن تخوم البلاد والمعيشة الخلوية في الصيد وتربية المواشي والثاني عن بعض الامور التاريخية . وتخلَّص من لوم الاميركيين لاخذهم البلاد من الهنود بقولهِ ان البلاد لم تكن للهنود وانما كانوا فيها رحَّلاً تنزل قبيلة منهم بقعة وتنتقل من فيها وتتبع الصيد الى ان تقرضهُ او يقل فتتركها وترحل الى غيرها وشأنهم شأن البيض الذين يضربون في بلاد واسعة للصيد والقنص فان حقَّ لهؤلاء ان يتملكوا كل بلاد اصطادوا فيها

حقّ لهنود اميركا ان يمتلكوا البلاد التي ضربوا فيها . لكنهُ لم يبرىء الحكومة الاميركية من الظلم والاعتساف في معاملتها للهنود ولا برّأ البيض من الجور والاعتداء عليهم

وطالع وهو هناك كتب كبار الطبيعيين الذين كتبوا عن الحيوان والنبات حتى يطبّق المعارف التي جمعوها على ما يراهُ في تلك البقاع . وتابع الصيد والقنص حتى صار من امهر الفرسان واصبرهم على المشاق

ثم الف كتابهُ عن كيفية فتح البلاد الغربية من اميركا وتعميرها وهو كتاب ضخم في اربعة مجلدات جمع فيهِ من الحقائق التاريخية ومن اخبار روّاد الحضارة وما لقوا من المشاق وما ذللوا من المصاعب ما جعلهُ من خاصّة الكتب التاريخيّة الموثوق بها . وقد ابان فيهِ بالادلة ان الحكومة الانكليزية كانت تقصد ان تبقي تلك البلاد قفارًا للصيد والقنص لكي لا تعمر فتقوى بها الولايات الشرقية لكن روّاد الحضارة لم يقفوا عند حدّ بل فتحوا البلاد ومهّدوا السبيل لتعميرها

هذا هو روزفلت الرجل والسياسي والمؤلف وقد شبّههُ احد الكتاب باللورد كتشنر في قيادة الجيوش وتدبير الحروب وبامبراطور المانيا في سياسة البلاد والعباد وبالمستر تشمبرلين في اجراء الاصلاح العام دفعةً واحدة . ويسرّ الاميركيين ان يكون رئيسهم جنديًّا وسياسيًّا ومؤلفًا لاسيما وانهُ يحبُّ المزاح ويلجأُ اليهِ حينما يطلب الراحة من عناء الاشغال . قيل انهُ كان جالسًا مرةً مع احد الوزراء يبحثان في مسألة سياسية هامّة فالتفت الى الوزير بغتةً وقال لهُ هل تعطيني برنيطة اذا وثبت من فوق هذا الكرسي . فقال الوزير نعم . فنهض روزفلت ووقف وراء الكرسي وقفز ووثب من فوقهِ ثم جلس وعاد الى الشغل ولم يقل شيئًا . ولما اتمّا شغلهما قال لهُ الوزير ما دعاك الى ما فعلت فقال رأيت اني انا وانت نحتاج الى شيء من الراحة ورأيت نفسي في حاجة الى برنيطة جديدة . لكنهُ حريص على الوقت جدًّا وويل لمن يضيع دقيقةً من وقتهِ سدًى في حضرتهِ . زارهُ احد النوّاب يومًا وقال لهُ على سبيل المجاملة لقد سررت بمشاهدتك فقال لهُ روزفلت اما انا فلم اسرّ بمشاهدتك لانني مشغول جدًّا ولا وقت لي لمشاهدة احد . وهو حريص على امواله مع اشتهارهِ بالكرم رآهُ بعضهم مرة يساوم واحدًا من اجل نصف غرش وفي تلك الساعة نفسها طُلب منهُ احسان لمقام خيري فدفع خمسة وعشرين جنيهًا . وحريص ايضًا على اموال غيرهِ حرصهُ على امواله . لما كان يربي المواشي في بلاد المراعي كان كل احد يَسِم مواشيهُ بوسم خاص والمواشي التي لا وسم لها مُلك مشاع يسمها كل من يجدها فتصير لهُ . فرأى مرة احد رجالهِ يسم ثورًا ليس لهُ بسمتهِ فطردهُ من خدمتهِ لانهُ لم يطق ان يمتلك ما ليس لهُ ولو لم يكن لهُ مالك